من منشورات جمعية رابطة العلماء في العراق

الرسالة وانوارها

بقلم

الشيخ عبد الكريم محمد فتاح المدرس

يوزع مجانا

مطبعة الحوادث - بغداد

١٩٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي ارسله رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه اجمعين واتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد فهذه رسالة لطيفة حول رسالة الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ومعجزاتهم وسائر الخوارق للعادات الواردة ارهاصا وتأسيسا للرسالة وتأييدا لهم في مهمتهم ونشر احكام الدين.

اتفق العلماء وائمة الهدى على ان اول واجب على الانسان الرشيد الذي يعرف نفسه أن يعرف ربه الذي خلقه ثم رسوله الذي ارسل اليه ثم مجتمعه ليؤتي كل ذي حق حقه ويعيش كانسان نافع في العالمين.

وبذلك يكون عالما بمسئوليته في حياته والشعور بالمسئولية واداء واجبها من اهم المهمات في الدنيا والدين.

ومن هنا يجب على الانسان ان ينظر بدقة وتأمل في شخصه المخلوق من بني الإنسان ليعلم ان الانسان اكرم مخلوق في عالم الوجود

كما نبه الوحي السماوي عليه ﴿وَلَقَـدْ كَرَّمْنَـا بَنِي آدَمَ﴾. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

وإذا علم بلــك فليعلم انــه يشــارك المخلوقــات الجامدة من المعدنيات وغيرها ولكن يتميز عنهــا بـالنمو والزيـادة في الأقطـار ويشـارك الناميـات كالاشجار والنبات ويتميز عنهـا بـالحس والحركـة الارادية ويشـارك الحيوانـات فيهمـا ويتمـيز عنهـا بالعقل المدرك المتطور إلى ما شاء الله فانســه يعلم من فجر تاريخه إلى يومنا هذا كان ولا يزال يتطور من السيء إلى الحسن ومن الحسن إلى الأحســن في امـور معاشــه وحياتـه واذا علم أنـه عاقــل متطــور علم انــه لم يخلــق بهــذه الصــفة العالية العالميـة عبثـا مهملا بلا فائـدة وسـدى بلا سؤال وجواب وبـدون مـيزان وحسـاب كلا، ﴿أَمْ حَسِــبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُــوا السَّــيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ سَـوَاءً مَّحْيَـاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ

الان مسـاواة العـادل للعاطـل والعـالم المـدرك للجاهل المتحرك امر لا يقبله العقل السليم.

فمن هنا يعلم أنـه مخلـوق لـه خـالق خلقـه على نظام بديع يستوعب الأصول الرفيعة النافعـة لـه وللناس اجمعين.

وقـد يـرد على قلبـه تـردد في وجـود الخـالق الواجب الوجود الموصوف بالكرم والجود ولكنـه اذا توجـه إلى سـلامة الحـال يفتح عليـه ابـواب الاستدلال بأمور.

منها انه يرى أنه يجري عليه الليل والنهـار وليس ذلك الا بحركة الكواكب ولاسـيما الكـوكب الـذي هـو عليـه ويعلم أن هـذا الكـوكب المتحـرك لـه محرك بالقسر او الارادة اولا وذلك لا شبهة فيه. بقي في قلبه إن ذلـك المحـرك هـل هـو قـوة لا شعورية تسمى جهلا بالطبيعة او انها قوة قدسية مبدؤها الذات الحي القيوم العليم القدير.

ولاشـك انـه يـرفض العقـل أن يكـون مبـدء هـذا الكون البديع على النظام العجيب الرفيـع عبـارة عن اللاشـعورية العميـاء فيعـترف باللـه رب العالمين.

ومنها انه اذا نظر إلى العالم بارضه وسمائه علم انه عبـارة عن عوامـل مسـخرة للعمـل بالـدوام وان لكل عامل عملا يؤديه لتطبيق حق النظام... ومن هنا يعلم أن القوى المسخرة للعمل ليسـت هي الخـالق وانمـا الخـالق هـو الـذات القـادر المقتدر المسخر لكل الكائنات وهو القاهر فـوق عباده وهو اللطيف الخبير.

ومنهـا النظــر إلى الآفــاق والأنفس فــاذا نظــر العاقل نظر تدبر وتأمل في الأفلاك وما فيهـا من الكـــواكب المشـــعة المتحركـــة على الوجـــوه المختلفة بالسرعة والبطؤ والتشريق

والتغـريب ونظـر إلى الشـمس المنـورة لنصـف الكرة بل ازيد وتفكر في حجمها الذي يزيـد على حجم الأرض بمقدار مليون مرة ونظر وتأمل في الاثير ومـا فيـه من العجـائب ونظـر الى المجـرة الحزام المدور المزين والي الشعري الـتي يقـال انهـا أكـبر من الشـمس بمقـدار مليـون وتُـراى صغيرة لبعدها.

ثم نظر إلى نفسه وشخصه وهيكله واجزاء بدنــه من الـرأس والصـدر والبطن واليـدين والـرجلين وتفكـر في النخـاع الشـوكي وفي الـدماغ ومــا ارتبــط بــه من الخطــوط الواصــلة إلى العيــنين والأذنين وغيرهمــا وتفكــر في الصـــدر والقلب والكبــد والكليــة والطحــال والرئــة وتفكــر في المعدة وتحليلهـا للمـواد المأكولـة وتصـفيتها لهـا والى صـحة البـدن ومرضـه رأى مـا يتحـير منـه العقــول والألبــاب ثم تفكــر بدقــة في جــانب معنوياتهـــا من درجـــات العقـــل والعلم والحلم والقـدرة وسـائر الصـفات النفسـية الإيجابيـة او

السلبية والى ما يطرأ على القلب من الفرح والسرور والضيق والسعة والعزم على الأمور والصبر والصدق وغيرها علم ان الخالق لهذه الأمور الغريبة والقوى العجيبة ليس الا الله الحي القيوم القادر المريد السميع البصير والى ذلك تشير الآية الكريمة ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.

ومنها ان اجزاء هذا العالم العلوي والسفلي اما كلها من الممكنات التي يستوي وجودها وعدمها اي يجوز ان يوجد وان يعدم واما واجبه وجب وجودها وامتنع عدمها واما بعض منها واجب وبعضها ممكن وهذان الاحتمالان الأخيران باطلان لان تلك الأجزاء قابلة للتغير والتبدل والفناء وما كان كذلك لا يكون واجب الوجود والقول بان بعضها واجب وبعضها ممكن غلط لان الاجزاء كلها تتحلل إلى جزيئات متماثلة قابلة للفناء والبقاء فاختصاص بعضها بالوجوب وبعضها بالامكان ترجح بلا مرجح.

فتعين الاحتمال الأول وهو أن كل اجزاء العالم ممكن الوجود وممكن العدم ووجوده وعدمه بارادة الله القادر المختار فيعلم أن الله هو الخالق لكل شئ.

ومن هنا يؤمن العاقل حـق الايمـان بـان الخـالق لهذا العـالم هـو الـذات الموجـود القـديم البـاقي الفـنى المطلـق الـذي ليس كمثلـه شـيء وهـو الحي القيوم العالم القادر المريد السميع البصير المتكلم بالحق وانه يغير ولا يتغير ويؤثر ولا يتـأثر وانه مجرد عن العلائـق الماديـة وليس من عـالم الأمكان بـل هـو الـواجب الوجـود وبمـا أن نفس الانسان المتفكـر جـزء من هـذا العـالم يعلم أنـه مخلـوق لـه تعـالى ﴿وَلَئِن سَـأَلْتَهُم مَّنْ خَلَـقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.

ولمـا اعـترف بانـه وسـائر بـني نوعـه وغـيرهم مخلوق الله تعالى علم انه ما خلقهم الله تعـالى عبنا بلا نظـام ولا مسـئولية بـل أن هنـاك نظامـا يتعلـق بالكـل من اجـزاء العـالم ونظامـا يتعلـق بالمكلفين ومن هنا يعلم أنه من مقتضـى حكمـة الباري جل جلالـه اختيـار فـرد او افـراد من نـوع المكلفين للرسـالة فيبعثـه ويرسـله إلى النـاس لتطبيق النظام المبين.

واذا أتاه تردد من الواهمة او من قوى الشـر أنـه لا حاجة إلى ارسال الرسل لأن العقـل كـاف في ابداع النظم وتطبيقه على مـا هـو صـلاح العبـاد. رده العقل السليم والتفكر المستقيم بان العقـل

وحده لا يكتفي بـه لان العقـل وان ادرك طريـق النجـاح وسـاعده الوجـدان والعاطفـة الانسـانية لكنه ليس بكاف في تشريع اصـول يعيش عليهـا الانسان ويتكفل السعادة، وسر ذلك بالحقيقة ان الانسان نموذج بديع من الخليقـة جـامع الصـفات وقابلات عديدة من الفضائل والرذائـل فـان فيـه العقل والعلم والصبر والصـدق والوفـاء كمـا أن عنده الجهل والكسل والعجلة والكـذب والخيانـة والغضـب والشـهوة والجـذب والرفـع وفي عين الوقت هو مدني بالطبع لا يعيش بـدون اجتماعـه مع بني نوعه.

و باقتضاء ذاتـه يحتـاج إلى هـواء صـاف وسـكنى وقـوت وجـاه وأهـل وراحـة فكـل انسـان مـادام جامعـا لهـذه الحاجـات يقـع بينـه وبين غـيره المنافسـة والمعارضـة في المقاصـد فيحتـاج المجتمـع لكسـب الأمـان والراحـة إلى مبـدء واصول متبعة يعيش عليها المجتمع الأنسانى.

وهـذا المبـدء اذا كـان ماديـا صـرفة لا يكفي في كسب راحة الجميع لان القوة المادية والسيطرة انمـا تقـوم بمعالجـة امـور علنيـة معلومـة ولا يسيطر على القلوب في الخلوات.

فـاذا لم يكن هنـاك وازع نفسـي قدسـى ورادع معنوي مسيطر عليه لا يمتنع بالذات عن ارتكاب الشـهوات المحرمـة وقتـل الأبريـاء المعصـومة والتعرض للامانات والودائع التي جعلت عنده ولا يمتنع عن الخيانة في العهـود وحنثـه في الأيمـان وغير ذلك من الأمور الكثيرة التي لا تحصى.

فاحتـاج البشـر إلى اصـول سـماوية تـدعوه إلى الطمـع في الـدرجات والخـوف من الـدركات ومحبة الفضائل وكراهية الرذائل وغـير ذلـك من الايجابيات والسلبيات وتلـك القـوة تكـون بمثابـة التمسـك برابطـة نوريـة قويـة اقـوى من جـذب القوة الكهربائية ودفعها وذلك هـو الـدين المـبين النـاتج عن الـوحي ومن تفكـر في قواعـد ذلـك الدين المبين وجد في نفسه الايمـان بـان الـدين نور يؤيد العقل في ما يهتدي اليه ويفيده في مـا خفي عليـه ولا ينازعـه الا في ارتكـاب الرذائـل فالـدين والعقـل اخـوان شـقيقان ورفيقـان متوافقـان وكـذلك العلم الصـحيح النـاتج من الاكتشافات او الذي كون سـبا للاختراعـات فـان مبدء العقل والدين هو الله العليم العلام لا يمكن أن يكون هناك معلومات مخالفة لنصوص الـدين واذا تـوهم احـد تعارضـا بينهـا فانمـا هـو تعـارض

ناشئ من عدم كون العلم موافقاً للواقع وانما هو ظنون لا تصل إلى الحقيقة او ان في رواية الدين اضطرابا هناك اذ لا تعارض مطلقا بين القواطع مطلقا.

والحاصل أن الاحتياج الى الدين والى الرسول المبلغ الأمين ضروري بديهي ليس محلا لنزاع العقلاء.

ولذلك نجد في القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى كان منذ أن خلق البشر على الارض ارسل اليهم الرسل مبشرين ومنذرين كما قال تعالى ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ وقال كذلك ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ﴾ وقال ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

وهنا نقطة هي ان اولئك الرسل الكرام لماذا كانوا محتاجين إلى المعجزات واظهار خوارق العادات للبشر.

والجواب هو ان الانسان نوع له اصناف ولكل صنف افراد ولكل فرد نوع من القابلية والامتياز فمنهم من اذا ادرك الرسول وسمع كلامه ونظر الى اعماله واخلاقه وعفته وامانته علم أنه مبعوث من الله ومختار لتبليغ احكامه وآمن به

وصدقه وأولئك هم الصديقون ومنهم من كان محتاجا إلى بعض ادلة نافعة وارشاد حتى جاء الى الشعور الصافي وآمن به ومنهم من كان شديد الشكيمة ويحتاج في التصديق إلى اظهار الرسول للخوارق اي امور تظهر مخالفة للقواعد العامة والأمور المعتادة يدل ظهورها على انه رسول من الله تعالى وايده بهذا الامر الخارق.

ولما جاء البحث عن المعجزة والخوارق ينبغي أن نعلم اولا ان كل ما يتصوره الانسان فهو محصور في اقسام ثلاثة:

القسم الأول هو الذي يجب وجوده ويستحيل عدمه كوجود الباري تعالى والقسم الثاني ما يجب عدمه ولا يمكن وجوده وهو الممتع العقلي الذي يسمح عرفا بالممتنع بالذات كجمع النقضين بان يكون شيء واحد موجودا ومعدوما في آن واحد وكجمع الضدين كأن يكون لون واحد سوادا وبياضا.

والقسم الثالث ما لا يجب وجوده ولا عدمه اي يستوى وجوده وعدمه بالنظر إلى ذاته وهذا القسم هو المشهور بالممكن الذاتي وهذا القسم له قسمان الأول ما يكون وجوده موافقا

للعادة المقررة كولادة ولد من أم تزوجت برجل حسب العادة.

والقسم الثاني ما يكون وجوده مخالفا للعادة كولادة ولد من امرأة لم تتزوج وهي عفيفة وكنطق حيوان من الأنعام او غيرها وحدوث مائدة طعام في صحراء بلا معالجة احد وما شاكلها. فان كل ذلك من الممتنعات حسب العادة مع كونها من الممكنات الذاتية اذ لا استحالة في وجودها فعلا كجمع الضدين وانما هو خلاف العادة.

وذلك الممتنع العادي وان كان خارجا من الاصول الاعتيادية لكنه ليس خارجا من النواميس الكونية.

لانها ليست ممتعة كجمع النقيضين او الضدين والنواميس كثيرة منها وجود ابي البشر من التراب وكذلك وجود اصول سائر الفصائل الحيوانية من المواد العنصرية فان كل نوع من انواع الحيوان يعود الى اصل تفرع منه وذلك ناتج من غير نوعه.

وحكم بذلك العقل السليم بمعونة البرهان القاطع لان التسلسل في الأفراد يمنع التشخص

والوجود لا يكـون بـدون التشـخص. ولله در من قال:

للـــــــه في خلقـــــــه الصـــافي نـــواميس	للعلم في شـــــرحها الكـــافي قـــواميس
ولو قصدت لها ضبطا بتحرير	الضـاق عن ضـبطها الـــوافي قـــرطيس

فظهـر أن المعجـزات وخـوارق العـادات ليسـت امورا واجبة ذاتا وليسـت ممتنعـة عقلا وامـا هي ممكنات بالذات لكنها ممتنعات عادة ولذلك يقال لها الخـوارق او المعجـزات ولـو لم تكن ممتنعـة عادة لم تكن لحدوثها قيمة ولم تكن من اسـباب التصديق بالرسول ونبين أن المعجزة امر خـارق للعادة وممتنع عادة يظهر على يد الرسول بدون علاقة كسب واختيار.

واما اخضـاعها للعلم فـان اريـد بـالعلم علم اللـه تعالى فلاشك أنها خاضعة لعلمـه ومادتـه حسـب نواميسه الكونية المعلومة له وان اريد اخضـاعها لعلم البشر فان ذلك حكم لا يقبله العقل السليم والعقل المستقيم اذ لو كان كـل موجـود خاضـعا لعلمه لكان استمرار الحياة خاضعا لعلمـه وكـان

تمنـع النـار عن الاحـراق والمـاء عن السـيلان والسـحاب عن الابـراق والامـراض الفتاكـة عن الانسان إلى غـير ذلـك من الأمـور الخارجـة عن علمه وقدرته وارادته.

وممـا يجب أن يعلم أن المعجـزة ليسـت من الأمـور الحاصـلة بالكسـب والاختيـار اى ليسـت أمـورا مبنيـة على اصـول اعتياديـة كاسـتخراج المجهولات بقانون التناسب او بـالجبر والمقابلـة او بـالجفر وعلم الحـروف ومـا شـاكلها والا لاكتسبها الناس وكانت تنتشر في العالم..

وليسـت ايضـا من الأمـور الناتجـة من الرياضـة البدنيـة كالمشـي على الأسـلاك الممتـدة فـوق الأنهار وكمنع الانسان نفسه عن التنفس زمانا او عن الأكـل والشـرب زمانـا يزيـد على مقـدار العادة.

وليست سحرا لان السحر مبـني على تعلم بعض علـوم خاصـة وقـد كـثرت السـحرة في الأزمنـة السـابقة لـرواج مـرامهم وليسـت ايضـا من الشعوذة وخفة اليد التي هي عبارة عن تموهـات لا قيمة لها لان المعجزات حقائق وتلك الأمـور لا قيمة ولا حقيقة لها.

وانمـا هي وسـائر الخـوارق الناشـئة منـه تعـالى الواردة على انسـان او غـيره او الناشـئة صـورة على يد احـد الأنبيـاء او الصـالحين امـور واقعيـة حقيقة ثابتة في الأعيان.

واليك منها نبـذة ممـا نقـرأه من القـرآن الكـريم ففي سـورة البقـرة قولـه تعـالى ﴿أَلَمْ تَـرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُـوا مِن دِيَـارِهِمْ وَهُمْ أُلُـوفٌ حَـذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ - الآيـة - وقوله تعالى في شأن عزير عليـه السـلام ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَـةٍ وَهِيَ خَاوِيَـةٌ عَلَىٰ عُرُوشِـهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰـذِهِ اللَّهُ بَعْـدَ مَوْتِهَـا فَأَمَاتَـهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًـا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَـانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُـرْ إِلَىٰ حِمَـارِكَ وَلِنَجْعَلَـكَ آيَـةً لِّلنَّاسِ وَانظُـرْ إِلَى الْعِظَـامِ كَيْـفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وفيها ايضا قوله تعـالى: ﴿وَإِذْ قَـالَ إِبْـرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَـالَ أَوَلَمْ تُـؤْمِن قَـالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَـالَ فَخُـذْ أَرْبَعَـةً مِّنَ الطَّيْـرِ فَصُـرْهُنَّ إِلَيْـكَ ثُمَّ اجْعَـلْ عَلَىٰ كُـلِّ جَبَـلٍ

مِّنْهُنَّ جُـزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَـكَ سَـعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

فهذه الأمور كلها خـوارق كونيـة وهي الممكنـات الذاتية والممتنعات العادية وقد أخبر اللـه تعـالى بها ومن اصدق من الله قيلا.

ومن الخـوارق الممتنعـة عـادة مـا وقـع على ملأ من الناس وقد حكاها الله تعـالى. وقـال تعـالى: إِذْ قَـالَ اللَّهُ يَـا عِيسَـى ابْنَ مَـرْيَمَ اذْكُـرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُـدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْـدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُـكَ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْـرِئُ الْأَكْمَـهَ وَالْأَبْـرَصَ بِـإِذْنِي وَإِذْ تُخْـرِجُ الْمَوْتَىٰ بِـإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْـرَائِيلَ عَنـكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَـالَ الَّذِينَ كَفَـرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰـذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ الآية وكـذلك انـزال المائـدة من السماء ..

ومنها ما ذكره القـرآن الكـريم في شـأن سـيدنا موسى على نبينا وعليـه السـلام من آثـار عصـاه ويده البيضـاء ومـا حـدث من الخـوارق في الملأ العظيم وما حصل له من يبس البحر عند مروره مع بني اسرائيل فيه، قـال تعـالى وَلَقَـدْ أَوْحَيْنَـا

إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ. ومن ضربه بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة علنا قد علم كل اناس مشربهم.

وكنقل صاحب سليمان عليه السلام عرش الملكة من سبأ إلى ايليا في طرفة عين وتسخير الريح له وحركتها به وبمن معه مسيرة شهر غداة ومسيرة شهر رواحا.

وكلبث اصحاب الكهف ومنامهم هناك ثلثمأة وتسع سنين بدون اذى وبلاء على ابدانهم.

وكاسراء الباري تعالى بعبده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عروجه منه إلى ما فوق السماوات ومنه الى ماشاء الله من الدرجات.

واذا قطعنا النظر عن تلك النصوص المقدسة ونظرنا

بأنفسنا وتفكرنا في العالم العلوي والسفلي بما في الأول من الكواكب المشعة وبما في العالم الثاني من المعادن والنبات والبحار والجواهر ونظرنا في حجم الشمس الذي يزيد على حجم الأرض بمقدار مليون مرة ونظرنا الى الشعرى

التي يقال أنها يزيد حجمها على حجم الشمس مليونا من المرات ونظرنا إلى موازين حركاتها على الميزان المقرر، كما قال تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان ونظرنا إلى مقدار حجمها وحركاتها والى الجاذبيات الموجودة بينها ودورانها حول نفسها وحول الشمس مر الأزمنة والدهور علمنا أن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء وان صعوبة بعض الأمور عندنا انما هي لكونها مخالفة للعادة الجارية والا فهي من الممكنات الذاتية والأشياء الضعيفة تحت سيطرة الحي القيوم.

ومن هنا نعلم أن كل ممكن من الممكنات الذاتية فهي مما تتعلق به القدرة وان كانت من الممتنعات العادية.

وان كل ما يجري على يد الرسل الكرام من المعجزات فهي ممتنعات عادية ولكنها مسخرة للباري سبحانه وتعالى وهو القاهر فوق عباده وهو اللطيف الخبير.

وقد تقرر في عقايد السلف الصالح أن كل ما وقع معجزة للرسل الكرام يجوز وقوعه على ايدي الأولياء من عباده المتقين. وان تقواهم بالاجمال تحتوي على امور ثلثة التقوى والاحتراز

عن المكفرات حتى يكونوا مؤمنين وعن المفسقات حتى يكونوا عادلين وعن الانهماك في دناءة الدنيا حتى يكونوا من المتمكنين وذلك بعض المعرفة بالله تعالى ذاتا وصفة بقدر المستطاع واتباع السنة السنية النبوية والاستقامة عليها إلى يوم لقاء رب العالمين.

وقد عقد علامة الأصول الشاطبي فصلا حافلا في كتابه الموافقات خول حدوث الخوارق لاولياء امته صلى الله عليه وسلم وكذا لأولياء أمة غيرة من الرسل عليهم الصلاة والسلام على وفاق ما ظهر على ايدي الرسل كل على منهج رسوله لتأكيد الدلالة على صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام في دعوى الرسالة.

وسر ذلك أن الله سبحانه وتعالى خلق الانس والجن ليعرفوا ربهم فعبدوه ويطيعوه في كل حال بامتثال اوامره واجتناب مناهيه وقد قال تعالى سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

فاذا استمر العبد في طاعته بترك الحرام واداء الواجب اداء لحق العبودية وزاد على ذلك بالتطوع والأعمال الحسنة التي تفرض عليه ولكنه عمل بها تقربا إلى الله احبهم الله واذا

احبهم اكرمهم واعزهم ونصرهم وايدهم باظهـار الخـوارق للعـادات على ايـديهم تكريمـا لهم وتشريفا.

فهـذه الكرامـات تشـبه اكراميـات من المضـيف للضيف العزيـز الحـبيب وليسـت تلـك الكرامـات باختيـارهم ولابـالتعلم ولا بمباشـرة الاسـباب الاعتيادية. وقد قـال تعـالى والـذين جاهـدوا فينـا لنهدينهم سبلنا وان الله لمـع المحسـنين احسـن اللـه تعـالى الينـا والى سـائر المسـلمين وهـدانا سـبيل الرشـاد ووهب لنـا الاسـتقامة إلى لقائـه بكرمه ورحمته إنه ارحم الراحمين. سبحان ربـك رب العزة عمـا يصـفون وسـلام على المرسـلين والحمد لله رب العالمين.

ختمت الرسالة يوم الاثنين التاسع عشر من ربيع الثـاني سـنة 1409ه المصـادف لليـوم الثـامن والعشرين من تشرين الثـاني سـنة ١٩٨٨م. وانـا الكاتب الفقير إلى عفـو ربي القـدير عبـدالكريم محمد المدرس بجامع حضرة الشيخ عبـد القـادر الكيلاني نور الله روحه وزاد علينا فتوحه آمين.

رقم الايـداع في دار الكتب والوثـائق (140) لسنة ١٩٨٩